

اليمن يرسم الحدود الجديدة للسيادة في الشرق الأوسط

ليست المعركة الحالية في اليمن مجرد جولة جديدة من تبادل القصف الصاروخي والضربات الجوية، ولا هي خلاف أجراءي على رحلة طيران مُنعت من الهبوط.

إنها في جوهرها معركة على السيطرة والسيادة:

من يملك مفاتيح السماء والأرض في اليمن؟

ومن يقدم مكوك العبور والتفتيش؟

عندما أُغلق مطار صنعاء أمام طائرة إيرانية، لم يكن الموقف حادثاً عابراً، بل كان إعلاناً صريحاً بأن المجال الجوي اليمني ما زال ساحة للسيطرة الإقليمية.

وعندما جاء الرد بالصواريخ باتجاه المنشآت الحيوية في العمق السعودي، كانت الرسالة أكثر وضوحاً:

”إن أُغلق مجالنا، فلن ينعم مجالكم بالهدوء“.

1. المطار ليس خرسانة... إنه رمز السيادة

قد تُقدّم القيود على الموانئ والمطارات تحت شعارات ”الحماية الأمنية لمنع تسريب السلاح“، لكن الواقع على الأرض يقول شيئاً آخر:

المطار المغلق يعني مريضاً لا يجد علاجاً، وطالباً يفقد مستقبله، وعائلات يفرقها الجدار الجوي. الحصار ليس إجراءً تقنياً، بل هو سلاح تجويع وضغط سياسي يُستخدم لإجبار الطرف الآخر على تقديم تنازلات على طاولة المفاوضات.

من هنا، لم يعد رفع الحصار بالنسبة لـ ”أنصار الله“ مجرد مطلب إنساني ثانوي، بل أصبح شرط الوجود والسيادة؛ إذ لا معنى لأي تهدئة تُبقي مفاتيح الحركة والتنفس بيد الرياض.

2. عقدة باب المندب: لماذا يُرعب اليمن المستقل الجميع؟

اليمن ليس مجرد جغرافيا على هامش الخريطة، بل هو الحارس الطبيعي لأهم شرايين العالم:

1. مضيق باب المندب: البوابة المباشرة للتجارة وقوافل النفط العالمية.

2. البحر الأحمر وخليج عدن: ساحة الصراع المفتوح بين القوى الكبرى.

3. الموقع المحاذي للعمق السعودي: الذي يجعل أي سلطة يمنية تمتلك قراراً عسكرياً وسياسياً مستقلاً مصدر قلق مباشر للرياض وحلفائها.

إن قيام سلطة في صنعاء ترفض التبعية وتملك قدرات صاروخية ومسيّرات، لا يُعدّ تحدياً للسعودية وحدها، بل هو كسر لترتيبات النفوذ الأمريكي-الإسرائيلي في المنطقة.

فوجود قوة يمنية غير خاضعة للشروط الغربية يهدد أمن الملاحة الإسرائيلية، ويقلب معادلات التوازن التي صُممت لتبقى واشنطن وحلفاؤها هم أرباب البحر الأحمر.

3. هل تُنفّذ الرياض أوامر أمريكية؟ (فك شفرة التحالف)

البحث عن "أوامر سرية مكتوبة" من واشنطن للرياض هو تسطيح للمشهد.

الحقيقة أكثر تعقيداً وعمقاً:

السعودية لا تحتاج لتلقي أوامر يومية؛ لأنها مدمجة بنيوياً وفكرياً واقتصادياً داخل المنظومة الأمنية الأمريكية.

حسابات واشنطن: حماية الطاقة، تأمين إسرائيل، واحتواء النفوذ الإيراني. حسابات الرياض:

تأمين الحدود، منع قيام نموذج يمّني رافض للهيمنة، والحفاظ على موقعها كقائد إقليمي. لذا، عندما تقاتل السعودية أو تفرض الحصار، فهي تدافع عن أمنها المباشر وعن النظام الإقليمي الراعي لها في الوقت نفسه.

أي استقلال حقيقي للقرار اليمني يُقرأ في واشنطن والرياض كـ "ثقب في جدار المنظومة الغربية".

4. معادلة "المطار بالمطار": هل انكسر قواعد اللعبة؟

تأتي معادلة "مطار مقابل مطار، وميناء مقابل ميناء" لتعكس التحول الدراماتيكي في إدارة الصراع.

صنعاء لم تعد تقبل بأن تكون الطرف الذي يتلقى الضربات والقيود في صمت، بل نقلت الكلفة مباشرة إلى الشرايين الحيوية للرياض:

استهداف المنشآت النفطية والمطارات الجنوبية. رفع كلفة الحرب الاقتصادية على مشاريع

رؤية 2030.

هذه المعادلة المتبادلة، رغم خطورتها ودفعها نحو حافة الكارثة، أثبتت حقيقة واحدة:

أنه لا يمكن استعادة "الهدوء الإقليمي" بينما يُترك الداخل اليمني يعاني الحصار والارتهان.

الخاتمة: المعركة الأخيرة على صياغة الشرق الأوسط

إن الصراع في اليمن تجاوز منذ زمن قصة "الحرب على الحدود" أو "النزاع الداخلي على السلطة".

إنها معركة رسم الحدود الجديدة للسيادة في الشرق الأوسط:

هل يُسمح لليمن بأن يمتلك قرار موانئه، ومطاراته، وممراته البحرية، وإرادته السياسية؟

أم يجب أن يبعد عن خطوط القرار الدولي ويبقى مجرد حديقة خلفية لترتيبات واشنطن وتل أبيب والرياض؟

طالما بقيت مفاتيح السماء والأرض في اليمن محط نزاع، وطالما أمرت الرياض وحلفاؤها على صبغ السيادة اليمنية بالشروط الإقليمية، فإن أي "هدنة" لن تكون سوى استراحة قصيرة بين جولات حتمية من الانفجار.